أغنى

نذر الموت

دار ابن خزيمة

هاتف: ٤٧٦٩٩٣٢ - ٤٧٣٠٧٨٨ - فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبي بعده، **أما بعد:**

إليك ـ أخي ـ تلك الكلمات في موضوع كثير من الناس من ينساه في زحمة الحياة، بالرغم من أنهم مقدمون عليه، ولابد أن يتجرعون كأسه، إنه: الموت! لا يعرف الصغير.. ولا يميِّز بين الوضيع والوزير.. ولا يحابي صاحب المنصب الكبير..

أخي المسلم: هل خلوت يومًا بنفسك فقلت لها: يا نفس إنك (شيء!)، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

أخي: (إنه هاذم اللَّذات!) دعاك النبي ﷺ إلى كثرة تذكُّره! إذ يقول ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللَّذات» [رواه الترمذي والنسائي/ صحيح النسائي: ١٨٢٣].

أخي: أليس من العجيب أن نودِّع كل يوم ميتًا! ثم لا يحرِّك ذلك قلبًا؟! ولا يثير خوفًا أو فزعًا؟!

بل كأن الموت مكتوب على هذا المشيَّع وحده! فكم هي هذه الـغفلة قبيحة! وكم هي كريهة وشنيعة! إنه عَـمَى القلوب! وما أسوأه من عَمَىً.. ﴿فَإِنَّـهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

أخي: إذا شغلتك الدنيا! فتـذكَّر الموت.. فإنك راحل! ولن تجد لتلك النفس سوطًا أشدّ عليها من تذكُّر الموت!

«فهل تفكَّـرت يا ابن آدم في يوم مصرعك وانتـقالك من مـوضعك؟! وإذا نُقلتَ من سـعة إلى ضيق! وخـانك الصَّاحب والرَّفـيق! وهجرك الأخ والصَّديق! وأُخِذْتَ من فـراشكَ وغطائك إلى غرر! وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومَدَر! فيـا جامع المال والمجتهد في البنيان! ليس لك والله من مـــال إلا الأكـــفـان! بل هـي والله للخـــراب والذَّهاب! وجسـمك للتُّراب والمآب! فأين الذي جـمعته من المال؟! فـهل أنقذك من الأهوال؟! كـلا بل تركـته إلى من لا يحـملك! وقـدمتَ بأوزارك على من لا يعذرك!» [الإمام القرطبي].

أخي: كم مضى من الـدنيا؟! وكم هلكت من أجـيال وأمم؟! كم من ميّت من إخوانك وأحبابك أودعته في جوف الثَّرى؟! كم مرةً حدثتك نفسك أنك قد تموت اليوم أو غـداً؟! كم من العمر مضى وأنت تُؤمِّل الآمـال العِراض؟! وهل بلغتَ كـلّ ما تُؤمِّل؟! وإنْ! هل وقـفتْ بك الآمال عند أملك؟!

أخي: تذكَّـر.. ثم تذكَّر.. وإليك: «للعـبد ربّ هو مـلاقيـه، وبيت هو ساكنه، فينبـغي له أن يسترضي ربه قبل لقـائه، ويعمرِّ بيته قـبل انتقاله إليه» [الإمام ابن القيم].

أخي: كن على حَـذَر! وهل يغني الحـذر؟ مـا بقي أخي غـير العـمل الصالح فهو خير زاد.. وخـير رفيق يوم المعاد.. وروضتك يوم الرقاد.. وأنيسك إذا تفرَّق عن قبرك العباد..

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *